

معالم الشخصية وعوامل بنائها في القصص القرآني

-دراسة وصفية-

أ. د. فاتح حسني عبد الكريم^١



ملخص البحث

سعى البحث إلى بيان التصور الشامل الذي رسمته القصة القرآنية للشخصية الإنسانية؛ في تحليل عناصرها وأنواعها وأبعادها، والثوابت المتعلقة بها والمتغيرات، وأبدى الباحث وجهة النظر في مدى قابلية الشخصية الإنسانية للتغيير والتطوير من أقواع الانحطاط إلى أنفة التسنم والارتقاء؛ وضرب على ذلك أمثلة لشخصيات قرآنية استحالت إلى السؤدد والسُموق بعد الحساسة والضعة، وتلمس البحث العوامل المؤثرة في الشخصية الإنسانية كما رسمتها القصة القرآنية ومنهج البناء فيها، وعرض للعلاقة بين مقاصد القصة القرآنية والشخصية الإنسانية وبنائها، وختاماً اجتهد الباحث في بيان الحوائل التي تقف دون الانتفاع بالقصص القرآني والتأثر بها.

كلمات مفتاحية: قصص - بنائي - الشخصية - معالم

Abstract

The researcher stated the comprehensive perception drawn by the Quranic narration of the human personality, analyzed its elements, types and dimensions as well as the related constants and variables. The researcher also demonstrated the extent of the human personality to change and develop, from the decadence to the ascension and progression mentioning examples for some Quranic characters that have been promoted to the summit from villainous and immoral levels.

The researcher then stated the factors affect the human personality as pictured by the Quranic narration and the method of constructing this character. The researcher presented the relationship between the purposes of the Quranic narration and the human personality and its construction, and concluded the research with a statement of the barriers that stand without the use of Quranic stories and influenced by it.

Keywords :Narration, constructive, Personality, Features

(١) أستاذ التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية- مينيستوتا- أمريكا، تاريخ استلام البحث، ١/١٢/٢٠٢٣م، وتاريخ قبوله للنشر، ٢٠/١٢/٢٠٢٣م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فإن تدبر القرآن ليس نافلة من نوافل العلم، وليس مسألة متروكة للترف الفكري والتنوع الثقافي؛ بل هي غاية غايات نزول القرآن، لا تختص بعالم أو دارس أو مختص، بل هي وظيفة قلب كل مسلم، مهما تنوعت ثقافته، أو ابتدأت علومه، هي دعوة الله لنا وأمره، وهي حياة قلوبنا ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ ص: ٢٩ وهي نعي الله لمن أهملها ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤.

ومن هنا يدرك الباحث أهمية المساحة الواسعة التي بسطها الله للقصص في القرآن، ودليل أهميتها في صياغة وتشكيل الذهنية العقلية والشخصية للفرد المسلم والأمة المسلمة، فإن هدي القرآن هو للإنسان ولكيان الإنسان ولينتفي عنه الضلال والشقاء والخوف والحزن؛ وما كانت هذه الآفات الأربعة لتزول إلا باتباع هديه ومزج أنواره في الروع والذهن والعقل والروح، قال الله تعالى ضامناً لمن اتبع- ولم يقل حفظ أو قرأ فقط- هداه بأن يعصمه منها فقال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة: ٣٨ ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: ١٢٣ فلا فكاك بين تكامل الشخصية وبنائها التام الصحيح وبين القرآن الكريم: هدياً ونوراً، وخاصة ما قصه الله علينا من قصص الأنبياء والسابقين.

فقام الباحث بإعداد واستنباط ما تيسر من هذه المعالم القرآنية، وعوامل بناء الشخصية المسلمة كما يريدتها الله عز وجل، وماهي عوامل ثبات هذه الشخصية وحوائل التفاعل معها.

وقد سلك الباحث-بقدر الاستطاعة- المنهج الاستقرائي من القرآن؛ بتتبع كيفية عرض هذه العوامل في القرآن والقصة القرآنية، والمنهج الوصفي التحليلي؛ بالربط والتفسير واستخلاص النتائج.

أولاً: مشكلة البحث: إن البحث في الشخصية واتزانها وتطورها أخذ بعداً كبيراً في الدراسات

الأدبية والطبية على حد سواء، وكثير من الباحثين قد أغفل عبودية الإنسان في بحثه، فناه في دراسات نفسية حادت عن الصواب وقربت من الخطيئة، فجاء البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

هل سبقت القصة القرآنية للترف والتسلية أم للعبرة والترقية؟ ماذا قدمت القصة القرآنية من بيان لمعالم ومجاهيل وأغوار النفس الإنسانية وعوامل تشكيلها وتطويرها وتركيتها؟ وكيف رسمت القصة القرآنية الشخصية قبل الإيمان وبعده؟

ثانياً: أهداف البحث: يهدف البحث لبيان الدور المحوري للقصة القرآنية في تصوير الشخصيات ورسمها، وأثرها الكبير في تطوير وتنمية وتركية الشخصية الإنسانية.

ثالثاً: أهمية البحث: أولى القرآن الكريم القصة اهتماماً كبيراً لما لها من تأثير عميق الغور في النفس الإنسانية وصياغة جُوانبها وتطويرها وزكائها؛ لذلك فقد فصل القرآن وبين معالم الشخصية ومدخلها وأبعادها وعوامل تركيبها وتطويرها.

رابعاً: دراسات سابقة:

رسالة ماجستير من جامعة اليرموك الأردنية، بكلية الآداب: الشخصية في القصص القرآني (دراسة نصية نقدية تحليلية لشخص مختارة) خالد الدولات ١٩٩٦، لكن هذه الدراسة توسعت في تفاصيل كثيرة اقتضتها ظروف الرسالة، وقصرت الدراسة على شخصيات محدودة.

(١) بناء الشخصية في القصة القرآنية دراسة نفسية/ د. عبد الوهاب الشيخ /كلية التربية / قسم علوم القرآن مجلة الجامعة العراقية وهي دراسة جادة لكنها قاصرة على شخصية قارون فقط.

(٢) بناء الشخصية في القصة القرآنية د مصطفى عليان، جامعة أم القرى في مكة، دار البشير للثقافة والعلوم ١٩٩٢، والدراسة جادة ومسهبه، ولكنها عالجت الجانب النفسي وصفيا للشخصيات القصصية، ولم تعتمد لبيان وتشخيص عوامل تنمية وتركية الشخصية الإنسانية بمنهجية واضحة.

خامساً: حدود الدراسة: التزم الباحث- بحسب وسعه- ببيان المعالم البانية للشخصية وأبعادها بحدود قرآنية، وحوائل التفاعل بينها وبين تركية الشخصية، ولم يتوسع البحث اجتماعياً أو نفسياً، ولم يتفرع البحث في الاستفاضة بالأمثلة على ما يعنون من مطالب خشية الإطالة، وما ذكر يُوشر على ما وُصف.

معالم الشخصية وعوامل بنائها في القصص القرآني -دراسة وصفية-

سادساً: خطة البحث: جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وعشرة مطالب وفق الآتي:

المقدمة: بين فيها الباحث وصفاً عاماً لعناية القرآن ببناء الشخصية، ومنهج الدراسة وأدبياتها.

المبحث الأول: معالم الشخصية في القصة القرآنية

المبحث الثاني: عوامل بناء الشخصية في القصص القرآني

المبحث الثالث: منهج القصة القرآنية في تشكيل الشخصية وبنائها

الخاتمة والتوصيات: حيث عرض الباحث أهم نتائج الدراسة وأهم التوصيات.

المبحث الأول: معالم الشخصية في القصة القرآنية

تمهيد: أخذت الشخصية الإنسانية اهتماماً كبيراً عند مفكري العالم، قديماً وحديثاً؛ من فلاسفة وعلماء نفس^(١) وعلماء اجتماع^(٢)، وغيرهم من أصحاب المناهج البحثية وتطورها، وكلٌّ ينظر إليها بحسب فكره وثقافته؛ فمن يرفع العقل ليجعله مقياساً للشخصية المثالية، ومن يختزلها بتركيبتها الداخلية المعقدة، أو على أثرها في محيطها ومجتمعها، لتعكس البيئة من حولها. وبقي الخوض في ماهية الشخصية وارتباطاتها وتحليل أبعادها حتى العصور الناهضة. ^(٣) التي قرنت بين التفوق والنجاح وبين المكانة الاجتماعية والدور المشغول للشخصية في البنية المجتمعية.

والقرآن الكريم حين يبني الشخصية، يجعل من القيم أساساً لها، ويلهمها معايير راقية رفيعة وواقعية؛ للنظر في الكون، وتصور الحياة بشقيها: الدنيا والآخرة، ولا يهمل القرآن قيمة على حساب أخرى، بل يوازن بينها ضمن ضوابط تنظّم العلاقات البشرية، وينوّع بينها لتشمل قيم الأفراد والأسر، والقيم الاجتماعية، حتى السياسية؛ فأسقط من معيار التفاضل والكمال كل صور الانتماء القبلي أو

(١) ينظر فيصل عباس، أساليب دراسة الشخصية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠.

(٢) علي جلبي، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، من ص ٣٤٥، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م. وحسين حسن، علم الاجتماع الأدبي، ص ١١٩، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١٩٩٠٢.

(٣) راجع كتاب توفيق إميل، الشخصية: توجهاتها وحاجاتها في نظرية إيريش فروم، مكتبة الأنجلو المصرية.

التقلب الوراثي، وجعلها مساحة فارغة بين صفحتين متقابلتين من وثيقة الحياة والحساب. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ الحجرات: ١٣ ومحض اتجاه الأمة لرفع قيمة الخير وحط من قيمة الشر ونكسه ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤. وللقصّة القرآنية دور كبير في إبراز العديد من الشخصيات وبيان أنواعها وتطوراتها، والمؤثرات فيها، والحوائل دون تركيتها وتطويرها، والثواب والمتغيرات فيها، وعوامل بنائها ونكوصها؛ لذلك احتفى القرآن بالقصة القرآنية احتفاءً كبيراً، وأفرد للقصة القرآنية ثلث مساحته. فما هي القصة وما هو دورها في بناء الشخصية؟

أولاً: القصة لغة: قال ابن منظور: «قال الليث: القَص فعل القاص إذا قص القصص، والقصة معروفة، ويقال: في رأسه قصة يعني: الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى: ﴿حُنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣: أي: نبين لك أحسن البيان. ويقال: قصصت الشيء إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ القصص: ١١^(١)» والقصة: الخبر، وهو القصص، وقصص عليّ خبره يقصه قصاً وقصصاً: أوردّه، والقصص الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه»^(٢).

ثانياً: القصة اصطلاحاً: «هي الخبر الطويل الذي يتبع بعضه بعضاً، حتى يتناول الأمر من جميع جوانبه»^(٣). ولا يستقيم تقييدها بالطويل^(٤)، فيمكن إنشاء القصة ببلاغة عالية وبعبارات قصيرة، وقصة أصحاب الفيل شاهدة.

ثالثاً: القصة القرآنية: لا يرى الباحث الأحداث التي عاصرها النبي ﷺ داخله في القصة القرآنية؛ ويقتصر القصص- حسب فهمه للقرآن- فقط في الذي قصه الله على نبيه عن الماضين من

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، ٧، ٧٣، دار صادر، بيروت، ط ١.

(٢) نفسه ص ٧٣.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ٤.

(٤) فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يونيو ٢٠٠٢.

أنبياء وسابقين؛ تلك التي قال الله عنها ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾^(١) «فالقُرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى، في مجالات الرسائل السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام»^(٢) فهي أخبار الأمم السابقة، من أنبياء وغيرهم، التي عرضت على خاتم النبيين وأمته؛ لتكون لهم عظة وعبرة ومعلماً ودرساً؛ وما أخبر به الله عن أحداث حصلت في زمن النبي محمد ﷺ فهي من قبيل السيرة وما مهّد للرسالة والنبوة.

رابعاً: أهمية القصة: للقصة دور فعال في بناء وتكوين وتطوير الشخصية، وحمايتها من الانحراف والانتكاس؛ فالإنسان مجبول على حب القصة ومولع بها؛ ومن خلق هذا الكيان العجيب فهو أدري به وتوجهاته، لذلك ترى القصة وأدائها قد أخذت رواجاً كبيراً في العالم، وغطت مساحات بشرية شملت المثقف والعامي، بعكس الكتاب الأكاديمي المقصور على العلماء والمثقفين؛ وما كان للقصة هذا الحضور لولا سهولتها ويسرها، وواقعية أحداثها وشهوها، وترباط الأحداث بشكل أخذ جذاب كخيطة العقد، ثم إنَّ الناس يعشقون المغامرات والانفعالات، فيجدون في القصة ما يشبع حاجاتهم. وكم من أدب رفيع أو مكشوف قد انتشرت مضامينه وتمكنت؛ بسبب عرضه كقصة مقروءة، أو جسّد شخصواً وحركات.

المطلب الأول: الشخصية عنصر أساس من عناصر القصة القرآنية:

تمتاز القصة بتنوع بنيتها، وأوليات تكون عناصرها، وقد استقرأ النقاد عناصر ومقومات القصة، فكانت توصيفاتهم متفاوتة، بين اعتبار الزمان والمكان والحدث والجو، والصراع والتشويق والمزاج والحبكة والأزمة والذروة، ثم انحلال الذروة، وقبل كل ذلك الشخصية.

وعلى العموم فقد تواطؤوا على عناصر تجمع القصص كله^(٣)، وكان الاتفاق عند الجميع على اعتبار الشخصية من أهم مقومات وعناصر القصة؛ كيف لا؟ وهي عمودها الفقري، ومحور أحداث

(١) ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ آل عمران: ٤٤ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ [سورة هود: ٤٩] ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]

(٢) ينظر عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منظومه ومفهومه.. بيروت، لبنان. (د. ت). ص ٤٠.

(٣) انظر مثلاً حسن القباني، فن كتابة القصة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٩٩٧م.

القصة تدور عليها؛ فلا قيام لحدث من غير شخص تقوم عليه، بغض النظر عن نوعية القصة كما سيجيء لاحقاً.

وقد اشتملت القصة القرآنية على كل العناصر التي اتفق عليها النقاد^(١)، وعند تحليل القصة القرآنية إلى عناصرها الأولية نجد الشخصية أحد أهم عناصر القصة القرآنية؛ فاعتماد البناء الفني للقصة القرآنية على الشخصية يمثل الركيزة الأساس في تسلسل الحدث وفاعليته وتنوعه، وتعتمد عليها في إبراز الجانب الأدبي والخلقي من جهة، ونشأة الأحداث وصخبها من جهة أخرى.

وهذا المصطلح وإن لم يستخدم في القرآن قالباً حرفياً، إلا أنه حافل بمضمونه في القصة القرآنية؛ وهو مصطلح فني أدبي، ولا ضير ولا حرج في استخدامه في القصة القرآنية، مثله مثل المكان في القصة القرآنية، الزمان في القصة القرآنية، بصفتها مصطلحات محايدة لا تنتمي لعقيدة أو اتجاه معين.. فما هو مفهوم الشخصية؟

أولاً: أصل الكلمة في اللغة: مادة «ش خ ص» في المعجم تدلّ على سواد الإنسان إذا كان من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه. والشخص: هو كل جسم له ارتفاع وظهور، وجمعه أشخاص وشخوص وشخاص. وشَخَصَ تعني ارتفع، والشخوص ضد الهبوط، كما يعني السير من بلد إلى بلد. وشَخَصَ بصره أي رفعه فلم يظرف عند الموت^(٢).

ثانياً: معنى الشخصية: هي كلمة - في بنيتها ولفظها- مترجمة عن اللغة الفرنسية في الأصل التي استخدمت فيها كلمة شخص (Personnalite) في القرن الثاني عشر الميلادي^(٣). أما تعريفها الاصطلاحي فهو تعريفات كدوامه^(٤) مستديرة؛ تدور ولا تستقر إلا بمنطقة محدودة؛ تعبر عن مرجعية قائمها ورائم أبعادها ومحدداتها، وبحسب القاعدة الفكرية لمعرفها. وهي «صِفَات تميز الشَّخْص من

(١) منتصر الغضنفر، عناصر القصة في الشعر العباسي، ص ٢٦، دار مجدلاوي، الأردن، ط ١، ٢٠١١م.

(٢) بن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٤٥/٧، مادة: شخص.

(٣) نفس المرجع، مادة شخص. والكلمة التي ذكرها Personne ومعناها شخص، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) لا أريد دخول دوامة التعريفات، لطول النفس بها، وقد احتار بها علماء النفس والاجتماع، وتاهت مراسيهم.

غيره ويُقال فلان ذو شخصية قويّة ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مُستقل»^(١) وتتبع هذه التعريفات وتعقبها يطول، لكن أكتفي- التزاماً بحدود الدراسة - بتعريف الأستاذ عثمان فراح، أنها: «التنظيم الهيكلي الداخلي لاستجابات الفرد الانفعالية الذاتية والخارجية، بالإضافة إلى العمليات العقلية العليا، كالإدراك والتذكر التي تحدّد شكل الأنماط السلوكية الاستجابية للفرد»^(٢)، قلت: هي ذلك الكم المركب من الروح والجسم والعقل بأبعادها ومرجعيتها، بتفاوت بينها في الفعل والعلّة^(٣)؛ «فالشخصية إذن نظام متكامل من سمات تتفاعل مع بعضها وتؤثر في بعض، وهذه السمات ليست صفات طارئة عابرة، ترتبط بموقف دون موقف، وإنما هي ثابتة يبدو أثرها في معظم المواقف، ولها أثر كبير في سلوكه»^(٤) ويتعلق الشخص بالظهور، فإن امتنع شخصه فلا حضور له، ومنه الحضور الماديّ والحضور الفاعليّ والتفاعليّ. ومنه ظهرت تصنيفات الشخصيات؛ فمن كانت حضرته بارزة فشخصيته حاضرة فاعلة مؤثرة، والعكس يتفاوت من شخص لآخر بحسب ظهورها وانكماشها وقوتها وضعفها، ومرجع ذلك كله لما تحويه هذه الشخصية من قيم دينية وتربويات واتجاهات وخبرات، وشيء من الموروثات الاجتماعية. «فالمجتمع يقوم على علاقات متبادلة، يكون الفرد فيها عنصراً مهماً، وتؤثر شخصيته في تفاعله مع المجتمع، كما يؤثر المجتمع على بناء الشخصية.»^(٥)

المطلب الثاني: أنواع الشخصيات في القصص القرآني وتنوعها:

تنوعت أنماط الشخصية في القرآن تنوعاً شديداً، واكتسبت غنىً وتصنيفاً ظاهراً؛ وما كانت الشخصية في القصة القرآنية على وتيرة واحدة؛ فمن الشخصيات أئمة في الهدى، ومنهم أئمة في الضلال، ومنهم المقسط ومنهم القاسط، ومنهم العاقل وغير العاقل، ومنهم الملك ومنهم الشيطان، ومنهم الرجال ومنهم النساء، ونستطيع تشخيص أنواع الشخصيات كالآتي:

أولاً: الشخصية الفردية: حتى الشخصيات في النوع الواحد قد تختلف وتتغير؛ حتى الأنبياء قد

(١) ووصفها في المعجم الوسيط بأنها: محدثة، انظر المعجم الوسيط، باب الشين، ١، ٤٧٥.

(٢) عثمان فراح، الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار النهضة العربية، صفحة ٢٥١.

(٣) العلة هي أشد مستويات التفكير البشري

(٤) مجلة السكينة، خصائص الشخصية الإسلامية، ١ يناير/٢٠١٢، عن د محمد الصغير، مجلة الدعوة (الرياض) العدد (١٦٦٠).

(٥) روزنتال ويودين وآخرون، الموسوعة الفلسفية، حرف الشين، شخص، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

تنوعت شخصياتهم؛ فلا تستوي شخصية موسى وشخصية هارون، ولا داوود وسليمان عليهم السلام، وهكذا. لكن الثوابت عندهم واحدة؛ فكلهم بشر، ويتحلون بالصدق والأمانة في التبليغ والذكاء، أما متغيراتهم فهي كثيرة ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨ وتختلف تجاربهم وتباين؛ فكل نبيٍّ خاض ملحمة فكرية وصراعاً اجتماعياً وعسكرياً غير الذي خاضه أخوه النبي الآخر؛ فيعقوب لم يحكم، في حين تجد ابنه النبي يوسف قد حكم، وتأثير شخصية موسى مختلف تماماً عن تأثير وحضور شخصية هارون؛ والدليل: ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَكْفُرُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف: ١٥٠. وهارون صاحب شخصية قوية نسبياً؛ فقد ضعف حضوره وتأثيره بغياب موسى وأمام شعب قد احترق الزندقة والتمرد، فلم يستطع إيقافهم ﴿وَمَا أَغْوَيْنَاكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ قال لهم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى * قال فإنا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامريُّ طه: ٨٣ - ٨٥، أما موسى فصاحب تأثير قوي وشخصية موجهة ضابطة، فكسر العجل وعقد محكمة للسامري وحكم عليه: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي * قال فاذهب إنك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وأنظر إلى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لئحرقنه ثم لننسفنك في اليوم نسفاً طه: ٩٥ - ٩٧، وحتى لا يبقى للعجل أثره في النفوس، ولا تحدثهم أهواؤهم بجمعه بعد كسره أمر برميهِ في البحر، قطعاً لكل أمل ورجاء. والأمثلة والتجارب كثيرة وسأكتفي بما ذكرت خشية الإطالة.

وشخصية المرأة في القصة القرآنية متنوعة؛ فمنهن شياطين ومنهن كالملائكة؛ فنجد شخصية كشخصية مريم عليها السلام تتواصل معها الملائكة. وشخصية كامرأة فرعون تربت في بيت شيطان، لكنها خرجت منه أقرب إلى الملائكية، في حين ترى امرأة نوح وامرأة لوط، كل منهما شيطانة تحت نبي: ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط لو ط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امراة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين * ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ التحريم: ١٠ - ١٢ نجد الجرأة والقوة في شخصية كشخصية امرأة العزيز، تخرج

كيدها وحيلتها كما تخرج النفس من صدرها؛ ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ لم ترتبك ولم تتردد ولم تضطرب، وبكل جرأة تعترف أمام الملأ، وتهدد وتحدد العقوبة ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوسف: ٢٥، والأمثلة كثيرة، والمساحة المتاحة في البحث محدودة، ولو تمت دراسة أنواع الشخصيات في القرآن دراسةً مستقلة ومن زوايا عدة لخرجت رسالة جامعية.

ثانياً: الشخصية الاجتماعية أو الجمعية: فهناك شخصية قد عبر عنها القرآن ككتلة واحدة، ولكنها تمثل مجموعات من البشر والناس؛ كبنی إسرائيل على سبيل المثال، تكلم عنهم القرآن كأنهم شخصية معيارية واحدة، قياسها واحد، مواصفاتها واحدة، تتقلب في الزمان والمكان؛ قال الله مخاطباً بني إسرائيل المعاصرين لنزول الرسالة: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا ۗ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩١ - ٣ مع أن الوزر لا يحمله أحد عن أحد ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥ لكنها وحدة التوجه والسلوك.

ومن الشخصيات الجمعية أيضاً: نسوة المدينة في قصة يوسف؛ موقفٌ واحد، ويتحركن بحركة واحدة ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف: ٣٠ - ٣١.

ومن الشخصيات الجمعية كذلك إخوة يوسف وأقوام الأنبياء، وغيرهم، كلها شخصيات عبر عنها القرآن كشخصية متحركة ناطقة بكلمة واحدة.

المطلب الثالث: رسم الشخصية وتصويرها في القصص القرآني

كان من قوة عرض الشخصية في القرآن أنها استطاعت- وبقوة- الصمود أمام تقلبات الزمان والمكان والإنسان، وما كان ذلك ليحدث لولا قوة صناعة تصوير ورسم الشخصية الحقيقية « وكأنها تعيش في كل الأزمان على قدم المساواة، ودون أن ينال منها الزمن»^(١) بقدره الرب سبحانه بهذا الأسلوب الأدبي، الذي يعبر عن المعاني بصور فنية، وعن المجردات وكأنك تنظر إلى لوحة متحركة من المعاني « وتعدّ الصورة الفنية قاعدة الأسلوب القرآني الأساسية، وأداته المفضّلة في التعبير عن المعاني المجردة، والحالات النفسية، والمواقف الإنسانية»^(٢).

واستطاعت الصورة القرآنية للشخصية سبر أغوار النفس الإنسانية وعرضها بمعانيها القريبة والبعيدة، وما كانت هذه المعاني البعيدة لتظهر لولا قوة عرض المعنى الأول المنتج للمعنى الثاني؛ وهو ما عبر عنه الجرجاني بالمعنى ومعنى المعنى؛ « ويعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصلُّ إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنًى، ثم يُفْضَى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»^(٣)؛ كذلك القرآن: حين يصور ويرسم شخصيةً معينةً فهو يرمي منها بتعبير بعيد ومعنى قريب ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣ فيطلع القارئ على تكوين تلك الشخصية بنوع من الامتزاز والافتراب. وقد تكون هذه الشخصية فردية أو جمعية كما تقدم. وقد نهج القرآن في تصويره للشخصية منحيين: التصوير المباشر وغير المباشر:

أولاً: التصوير المباشر: وهو أن يعمد إلى رسم الشخصية بطريقة توصيفية تعريفية حادة، ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ التوبة: ١١٤ « وهو الذي يكثر التأوه، ومعناه: أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له، مع شكاسته عليه، وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْحَمَتِكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ مريم: ٤٦^(٤).

(١) إدوين موير، بناء الرواية، ص ٨٢.

(٢) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام الراغب، ٧/١.

(٣) دلائل الإعجاز: بيان في شرح قوله: «المعنى»، و«معنى المعنى» ٢٦٣.

(٤) الرمخشري، الكشف، ٣٠٢/٢.

ثانياً: التصوير غير المباشر: وهو رسم الشخصية والتعبير عنها بالمواقف والأفعال التي يقوم بها، وبالتضحيات الجليلة، التي هانت عليه في مقابل سلم أولوياته؛ ومن عظمة القرآن أنه يعطينا أبعاد الشخصية في بضع كلمات؛ فلكل شخصية مفتاح، به تعرف هذه الشخصية؛ قال الله عن يوسف- عليه السلام- بلسان القصر: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ حُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٤٦، وعرفنا شخصية أيوب- عليه السلام- الصابر المحتسب من خلال المواقف التي عاشها ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لِّأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ص: ٤١ فهذه المواقف وغيرها تبين لنا اتجاهات الشخصية ومكان أبعادها.

ونستطيع أن نقسم أبعاد الشخصية إلى ثلاثة:

أولها: البعد الداخلي أو الجواني: وهو العالم النفسي للشخصية وعواملها الداخلية، وهذا هو الإنسان في الحقيقة؛ وباقي ما تبقى رتوش ولمسات لا تعار لها الأهمية بالنسبة للبعد الداخلي.

ثانيها: البعد الخارجي أو البراني: وهي الصورة الخارجية. والقرآن لم يعرها كبير اهتمام؛ لأنها لا تعكس حقيقة الإنسان، فحقيقته هي قواه الفكرية والنفسية. ولما عجب الصحابة من دقة ساق ابن مسعود التي أصبحت محل سخرية امتعض رسوا الله ﷺ، فعن ابن مسعود، أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أخذ»^(١). وموسى- عليه السلام- كان شديد السمرة^(٢)، وهناك عي في لسانه، «أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين» الزخرف: ٥٢ لكنه من أولي العزم. فلم يعر القرآن للبعد الخارجي أهمية تذكر إلا في سياق معين؛ كذكر مؤهلات القيادة العسكرية وبشكل هامشي، كما ذكر طالوت: «وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم

(١) صححه الأرناؤوط، مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم ٩٩١.

(٢) ففي الحديث «وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط» البخاري رقم: ٣٤٣٨ باب قول الله {وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا}، قال في اللسان: «والزط جيل أسود من السند إليهم تُنسب الثياب الرطبة» زطط، ١٠٨/٧.

يُوتُ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٤٧﴾ وما ذكر هذا البعد إلا أنه يتكلم عن شخصية عسكرية ميدانية.

ثالث الأبعاد: البعد الاجتماعي: وهو المركز والحالة التي يعيشها صاحب الشخصية، فالملك في قصة يوسف تكلم بكلام الملوك وبصيغة الاستعلاء: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿يوسف: ٥٤﴾ كلام يتسق مع المركز الذي يملؤه؛ بغض النظر عن صحته بذاته وموافقته للحق؛ ففرعون بمركزه الذي وضع نفسه به أصبح إلهًا، وقال كلامًا يتناسب مع شخصيته: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَيَّ الطِّينَ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ القصص: ٣٨ فموقع الإنسان الاجتماعي يملئ عليه طريقة خطاب معينة.

المبحث الثاني: عوامل بناء الشخصية في القصص القرآني

تمهيد: الشخصية والميراث المجتمعي: وأقصد بالميراث: الجانب الإرادي واللاإرادي من الموروثات الفكرية والنفسية والطبيعية؛ فهناك جانب إرادي نحن مسؤولون عنه، وهناك جانب لا إرادي، وورثناه بحكم الجينات والقرابة، وتركيز الباحث هنا على الجانب الموروث، القابل للتغيير والتوجيه والتطهير؛ فالله عز وجل قد أمرنا بالتطهير من موروثات بيئية اجتماعية وموروثات جينية متوارثة، وموروثات النفس التي جبلنا عليها، فهذه ثلاثية تضيق على الشخصية وتمنعها من التزكية والتطهير والتطوير؛ عوائل المجتمع والبيئة، وأصعب منها عوائل النسل العائلي، والأصعب منهما عوائل النفس وطبيعة خلقتها؛ ووظيفة الإنسان هي التطهير من هذه العوائل، ومن ثم التنمية والتطوير والارتقاء؛ وهو ما عبر عنه القرآن بالتزكية، فالتزكية هي تطهير من جانب ونماء وتطوير من جانب آخر: «**وَالزَّكَاةُ: الصَّلَاحُ**»^(١)، «**أصلٌ يدل على نَمَاءٍ وِزَادَةٍ**»^(٢). وعلق الله فلاح الإنسان بتزكية نفسه فقال الله: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى**﴾ الأعلى: ١٤ وقال: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا**﴾ الشمس: ٩، والفلاح: من الفلح، محرّكةً، والفلاح: الفوز بما يُغْتَبَطُ به، وفيه صلاح الحال والنَّجاة، والبقاء في النعيم والخير»^(٣). فالفلاح فيه شق الفوز وشق

(١) الأزهرى، تهذيب اللغة، زكا.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١٢/٣.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٥/٧، فلاح.

الفوز بالمرغوب تماماً، وشق الدوام فيه والبقاء. والإنسان قادر على التغيير، بل هو قابل لذلك التغيير؛ وإلا لانتفت الغاية من الرسالة والرسول، ولا بتعدت النجعة من الدعوة.

ويطل القرآن فكرة توريث الخطيئة كما تزعم المسيحية، وفكرة شيطنة الإنسان، وأنه شرير بطبعه^(١) قال الله: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَا تَرَى وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ النجم: ٣٦ - ٣٨ فيعلن القرآن الكريم براءة الإنسان من أي خطيئة، بل هو إلى الخير أقرب؛ فحين اقتضت إرادة الله عز وجل أن يكون الإنسان محل الاستخلاف في الأرض، وضع فيه قابلية المحبة للخير؛ بفطرة نقية، تتوجه للخير والصلاح والاستقامة، قال الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم: ٣٠، فالإنسان يتحلى بقدرات وتوجهات تؤهله لتركية نفسه وتطويرها وبنائها.

المطلب الأول: مقاصد القصة القرآنية وأغراضها، وأثرها في بناء الشخصية:

قطع الله في القرآن الكريم أن في اتباع الهدى عصمة من أربعة أمور: ضلال وشقاء وخوف وحزن، فهل تتعدى أمراض البشرية هذه الأربعة؟ فتيه وانحراف يتبعه شقاء وعناء، ويلحقه الخوف (الفوبيا) والحزن (الاكتئاب). ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: ١٢٣ وزاد جاهزيته وأهليته للاستخلاف والثبات؛ بأن وهبه عقلاً يعصمه ويضبط سلوكه ويوازن بين أولوياته، لذلك كان من أسماء العقل: النهي، قال الله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ^٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ طه: ١٢٨ وقد سُمي بذلك لأنه ينهي عن القبائح «.. سُمِّي بها لنهيها عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح، كما سُمِّي بالعقل والحجر، لعقله وحجره عن ذلك لذوي العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية، وتقبله منهم الفئة الباغية. وتخصيص أولى النهي مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المنتفعون بها»^(٣). وهذه المواهب وهذه الهدايا قد وجدت لغايات وأغراض، وسيجمل

(١) انظر بحث د. عماد الدين الشنطي، خطيئة آدم، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، ١/٢٠٨.

(٢) المحرر الوجيز، ٤/ ٤٨، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل، ٤/ ٣٠، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢١٠، تفسير روح البيان ٥/ ٤٧٢، روح المعاني، ٨/ ٥٢٠، التحرير والتنوير، ١٦/ ١٣٤.

الباحث أهم غرضين قصدهما القرآن الكريم عامة والقصص القرآني بشكل خاص:

والغرض هو الحاجة والبعية من الشيء، كان هذا الشيء كلاماً أو فعلاً^(١)، والحكماء لا يتكلمون إلا لمقاصد، وكل كلامهم مغياً بغاية وهدف، فما بالكم برب العالمين، رب الحكماء وأحكام الحاكمين سبحانه، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: ١١١. وأغراض القصص القرآني كثيرة جداً، لا تحصر ولا تجمع، وهي تختلف وتتغير بحسب كل مجتهد واجتهاده، وكل ناظر وما نظر؛ فهناك أغراض كلية تمثل أمهات الأغراض، وهناك دروس تفصيلية، وما يفتح للناظر فهو نعمة وهبة ربانية. ومقام هذه الدراسة يبعث على الإيجاز غير المخل، وندع التفاصيل للمطول من الكتب والدراسات، والحر تكفيه الإشارة، ويكتفي الباحث بذكر ودراسة أهم الأغراض^(٢) للقصص القرآني والعمل على تثبيتته في دينه، وتقويمه وتمنعه من الانحراف^(٣):

أولاً: إحياء وظيفه الروح/ تثبيت دعائم الإيمان: ويمثل هذا الغرض أم أغراض القرآن كله؛ والقصص القرآني جزء من هذا القرآن ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّئْتُ بِهِ فُوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠ وأول قوافل الثابتين هو محمد ﷺ؛ فإذا ثبت القائد والرمز ثبتت الأمة من بعده؛ هب أن النبي تنازل- وحاشاه -ﷺ لتجدد النكوص سيد الموقف، والتنازل سمة المرحلة.

إن للإيمان دوراً راسخاً في استقرار الحياة وتوازن العلاقات بين الناس، وهو لبنة بناء الأمم والأفراد. والمغامرة والإخلال به له عواقب وخيمة، لا تحمد عقباه: على الصعيد الشخصي والمجتمعي، بل العالمي؛ فالإيمان روح تتصل بالعالم الغيبي، تهذب النفس وتضبط العاطفة وتصحح المسار. لذلك أولت القصة القرآنية للإيمان اهتماماً ملحوظاً، وجعلت منه أم الأغراض وسيد الغايات. جاء في أول

(١) انظر: المعجم الوسيط، ص ٦٥٠.

(٢) للقصة القرآنية أغراض رئيسة وفرعية، انظر رسالة الماجستير بعنوان: قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني» «دراسة موضوعية» إعداد الطالب: عبد اللطيف رجب القانون، الجامعة الإسلامية - غزة ٢٠١١م؛ واكتفى الباحث بذكر أهم الأغراض التزاماً بحدود البحث.

(٣) انظر بحثنا عن تأصيل الانحراف الفكري، في مجلة جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم، العدد الخامس عشر.

سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣. وفي نهاية السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لَأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: ١١١.

وجاء في سورة القصص قبل عرض قصة موسى -عليه السلام-: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٣، وفي خواتيمها: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ القصص: ٤٤ - ٤٥. وجاء في سورة آل عمران في مبدأ عرضه لقصة مريم -عليها السلام-: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۗ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آل عمران: ٤٤. وفي سورة (ص) قبل عرض قصة آدم: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ ص: ٦٧ - ٧١. فالإيمان بالله يقوم قلوب المؤمنين، فلا يفكرون إلا صالحاً، ولا يتدبرون إلا ناجحاً، وركن الإيمان بالملائكة يورث الإنسان الاستقامة على أمر الله؛ حين يعلم بأن هناك من يدون ويسجل كل أقواله وأعماله، فيحرص على سلامة سجله مما يشين ويدين؛ فيشمر ذلك تصحيح العمل والأوبة إلى الله تعالى؛ مما يورث الأمن والسكينة النفسية للإنسان، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق: ١٧ - ١٨ كما أبرز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال رحمه الله: «فإنه إذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم»^(١).

وقد ساق القصص القرآني معاني وكليات من شأنها رفع منسوب الإيمان واليقين، تحفظ المتدبر لها من الانحراف والتطرف والزلل والتفريط، وتنمي شخصية المتدبر لها وتركيبه.

ثانياً: إحياء وظيفة العقل: يحتفي القرآن الكريم بمكانة التفكير السليم، والنظر الصحيح في الكون؛ ليكون بوابة كبيرة من بوابات الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

(١) د. مساعد الطيار، شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ٢٤٨.

(١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ آل عمران: ١٩٠ - ١٩١. وجعل الله أحد أهم وسائل التطور الفكري والتفوق الإيماني هو استخدام قوة العقل في الوصول إلى الله، فندب إلى أعمال العقل في قصص من سبق؛ ليتبين لهم الحق: «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى» طه: ١٢٨ «يعني: لأهل الحجى والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواجهة ما يضره»^(١). ومن هنا فقد ثرّب القرآن على من سلّم عقله لغيره ولم يتفكر، وشبهه بدواب الأرض، التي لا تعقل: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» الأنفال: ٢٢، سماهم دواب؛ لقلة انتفاعهم بعقولهم، قال تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» الأعراف: ١٧٩^(٢).

ويحث القرآن الناس على أعمال العقل ليصل بهم إلى الحقيقة، ويعلموا أنّ الله هو الحق، وأن ما دونه هو الباطل: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الحج: ٦. وقد كان من غايات القصة القرآنية التفكير والتدبر، قال الله «وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْضُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» الأعراف: ١٧٦. فكانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل الحفظ من الانحراف والوقاية من الضلال: «فَاقْضُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» «فيقفون على جليلة الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال؛ أي فاقضُص القصص راجياً لتفكيرهم أي أو رجاءً لتفكيرهم»^(٣). فقبل عرض موجز لبعض قصص السابقين، قدّم الله لعظم وظيفة العقل في التحصن والتمنع من الخطيئة، فقال سبحانه: «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ» الفجر: ٥^(٤) ثم عرّج على الأقوام الذين لم يحجرهم عقلهم عن الرذائل والشور، وبدأ بأعظمهم: «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨)

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان، ٣٩٨/١٣.

(٢) البغوي، معالم التنزيل، ٣٤٣/٣.

(٣) أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣، ٢٩٤.

(٤) أي: لذي عقل ولب وحجاء؛ وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به «ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ٨، ٣٩٤.



وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا
الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿الفجر: ٥ - ١٤﴾. وقد أكدت
الدراسات الحديثة أَنَّ المتطرفين والمتعصبين دينياً لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم؛ إذ إنَّ
المتطرفين لا يسمحون للآخرين بإبداء آرائهم، كما أنهم يتميزون بالعنف في التعامل، والخشونة والغلظة
في الدعوة، بالإضافة إلى النظرة التشاؤمية، والتقليل من أعمال الآخرين والاستهتار بها، والاندفاع وعدم
القدرة على ضبط النفس، كما أنَّ المتعصبين والمتطرفين دينياً غالباً ما يتميزون بحدائثة السن، وقلة
العلم، والفشل في الحياة^(١).

المطلب الثاني: تطور الشخصية في القصص القرآني:

حررنا من قبل- في تمهيد هذا الفصل- قابلية الإنسان للتزكية والارتقاء، أو الخسة والانتكاس؛
وأقصد بالتطور في الشخصية هو التغير الحاصل فيها إما إيجابياً وإما سلبياً، وإن كان التطور قد يحمل
للإيجابية أكثر. وأخصّ بالتطور هنا التطور الفكري والروحي، لا الجسدي والمادي؛ فهذا مجرد نمو
لا يعني للحقيقة شيئاً.

والإنسان جزء من هذا الكون المتحرك المتحول، ويأخذ حظه من هذا التحول^(٢)؛ وسأضرب بعض
الأمثلة لشخصيات تغيرت، وسأبدأ بالأسفل من باب التنقية منه، ثم أعرج على أمثلة طفيفة من الأرقى:

أولاً: شخصيات هابطة: وهو مثلٌ غريب عجيب ضربه الله لشخصية سقطت من علو، أوتيت
الآيات وانسلخت عنها ﴿وَإِئْتَلُّوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْعَاوِينَ﴾ الأعراف: ١٧٥ ضرب الله تعالى المثل لهذا الخسيس الذي آتاه آياته فانسلخ منها بالكلب،
ولم تكن حقارة الكلب مانعة من ضربه تعالى المثل به، وكذلك ضرب المثل بالذباب^(٣)

ومن الشخصيات الهابطة التي انتكست وانحدرت شخصية الملعون إبليس نفسه؛ بعد أن
كان يعايش الملائكة ويحسب من جملة لها؛ لأنَّ التكليف قد ثقل عليه فأقعده. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ

(١) عبد الحميد رشوان، الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، ١٢٣.

(٢) انظر كتاب شادية التل، الشخصية: من منظور نفسي إسلامي، المنهل، ١ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ٨/٨٥.

صَوْرَنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿الأعراف: ١١﴾.

ثانياً: شخصيات صاعدة: وقد قصَّ القرآن علينا أمثلة كثيرة، ارتقت من وحل الخطيئة إلى عمام القبول، ومن شبائك إبليس إلى سعة رحمة الله وفضائله، ومن هذه الشخصيات: سحرة فرعون؛ بدأوا من الحضيض النازل؛ من سحرة مأجورة تشتري وتباع، من قولهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ لشعراء: ٤١. ومن سحرة أضفت العزة للدليل، من أجل متاع قليل: ﴿فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ الشعراء: ٤٤. وبعد أن لامس الإيمان قلوبهم^(١)، وفجأة: ﴿وَالْقَبِي السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأعراف: ١٢٠ - ١٢٢ انقلاب من نقيض إلى نقيض في دقائق، بل حين هددهم فرعون بالقتل: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا نَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف: ١٢٤ - ١٢٦.

ومن الشخصيات التي تزكّت وتطورت شخصية امرأة العزيز؛ وهي تختلف عن شخصية السحرة؛ أنّ تطورها كان بطيئاً قياساً بالسحرة، فقد أثمرت بذور الدعوة وأدامت أخلاق يوسف عليه السلام حين كان في بيتها نامياً عندها- ولكنّ حسنه وبهائه قد شغلها وشغفها عن فكرته- فما كان ليوسف لينشأ عندها مجرد آكل وشارب، وانظر إلى ذلك الحوار الذي دار بينه وبين السجناء في السجن، لتعرف كيف أنّ طاقة يوسف عليه السلام إيجابية أخذة، في كل مكان يحلّ به عليه الصلاة والسلام ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ إِذْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُتُبَ وَالنَّوَىٰ أَن يَخْتَارَ حَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٣٩ - ٤٠. فالانقلاب إما أن يكون سريعاً كما وجدنا من تحول السحرة للحق وإبليس للباطل، وإما أن يحتاج لوقت وتريث؛ والزمن جزء من العلاج؛ فامرأة العزيز لها عبارتان تدلان على الفارق الهائل بين زمنين لهذه السيدة، فالعبارة الأولى قالتها بتبجح وعناد وتحذّر وتعنت شديد، بل أكدت الإشاعات للنسوة اللاتي جمعتهن بقولها: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ فَوَسْوَسَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ يوسف:

(١) انظر المطلب الأول في هذا المبحث عن دور الإيمان في تطوير الشخصية.

٣٢ أما الموقف الثاني والعبارة الثانية فهو من باب الاستغفار والتوبة والاعتراف بالذنب والانكسار، مع أنّ الألفاظ واحدة، لكن الوضع النفسي متغير كالسماء بالنسبة للأرض: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَأَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يوسف: ٥١

ولا أريد الإطالة، وهناك أمثلة كثيرة: كتطور شخصية يعقوب ويوسف ويونس وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام؛ ولكنّ هذا التطور من حسن إلى أحسن ومن كمال إلى أكمل، وهذا يحتاج دراسة خاصة، تحمل- مثلاً- عنوان: التطور الأمثل في شخصيات الأنبياء / دراسة في ضوء القصص القرآني.

المطلب الثالث: حوائل التفاعل بين القصة القرآنية والشخصية الإنسانية

أولاً: الجهل: وهو أسّ الانحراف وغذاؤه؛ ذلك أنّ العلم الصحيح يحمي صاحبه ومن حوله، والجهل نار تحرق الجميع، وقد كانت باكورة الوحي ومطلع نوره ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١ ولم يقل: فكر! بل اقرأ؛ لأنك إن فكرت بمعزل عن العلم والقراءة أفسدت عقلك وانتهيت لدائرة اللا علم، وهو الفراغ، وبالتالي وهم العلم، وهم الحق واحتكاره، واحتقار غيره. وأعني بالجهل معناه الواسع؛ من عدم المعلومة، وتحكم القوة وغلبتها على الضعيف ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾ المائدة: ٥٠. ومن هنا نتج عندنا صنف يعلم: رفع القرآن من قدره فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إنّما يتذكّر أولو الألباب ﴿الزمر: ٩ وصنف لا يعلم: حضه القرآن على العلم، وصنف جاهل يدعي الحق معه ولا يملك سوى وهم وأمنيات ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ إنّما يتذكّر أولو الألباب ﴿الرعد: ١٩. فالجهل سبب إعراض المعرضين عن دعوة الأنبياء والمرسلين ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هود: ٢٩.

ثانياً: التمسك بالأفكار القديمة (التقليد الأعمى): وهذه الآفة الخطيرة قد جمّدت الوعي وشلت التفكير؛ فترى حماساً للماضي وميراث الأجداد! وفتوراً ونكوصاً عن كل إبداع وتجديد! ولو كان هذا التجديد منضبطاً بقواعد الدين والمنهج؛ وما ذلك إلا لاتباع هوى النفس، بتمسكها بكل

مألوف ودارج ومعتاد ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿الأعراف: ٧٠﴾ إِنَّ آفةَ المجتمعات في كل زمان ومكان هي التقليد البليد المستحکم، الذي يشلّ عقول الناس، ويستبقيها مغتبطة بملازمة ما وجدت نفسها فيه، وعاجزة عن إدراك ضرورة مبارحة ما هو كائن الى ما يجب أن يكون.. (١)

وقد كان من أسباب صد فرعون وقومه عن موسى عليه السلام هو إلف الآباء: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٧٨ وكذلك كان صد قوم إبراهيم عنه لذات السبب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الأنبياء: ٥١ - ٥٤. وما كان شيء أشدّ على الأنبياء من هذا الحائط القوي المنيع؛ فهو خط الدفاع الأول والأخير للأقوام في مواجهة الدعوة الجديدة. وانظر كيف مدح الله من اهتدى بنور الله، فجعل الله عقل هذا المهتدي كاملاً راقياً فقال الله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ١٧ - ١٨.

ثالثاً: التعصب والتحجر: وهو عدم قبول الحق، ورفضه ومحاربته، مع ظهور دليله وقوة حجته، « من العصبية، وهي أن يدعو الرجل إلى نصره عصيته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين» (٢). ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْنَاهُ كِبَرًا وَاتَّبَعْنَا مَأْمُرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٦ - ٩٧ « أَمْرُ فِرْعَوْنَ - أي: مسلكه ومنهجه وطريقته في الغي والضللال - بِرَشِيدٍ»: أي: ليس فيه رشد ولا هدى، وإنما هو جهل وضلال، وكفر وعناد» (٣) وهو مرض فكريّ يعيشه المريض؛ متوهماً الاستعلاء والتفوق على غيره، وبالتالي فهو يزعم أنه يحترق الحقيقة. وقد تسبب هذا الكبر الصّدّ لشعيب عليه السلام من قبل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴿١﴾ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴿٢﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيرٍ﴾ هود: ٩١، وما ذلك إلا لكرههم واستحقارهم لغيرهم،

(١) إبراهيم البليهي، التقليد الأعمى للآباء يلغي عقول الأجيال، جريدة الرياض، الأحد ١٦ صفر ١٤٣٩هـ.

(٢) وهم الأتارب من جهة الأب؛ يعصبونه ويحيطون به ويشدد بهم. ابن منظور، لسان العرب، عصب،

٦٠٢/١

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٤٨/٤.

وغرورهم بذواتهم وتضخم مفهوم الأنا عندهم، كما رأينا من فرعون حين رفض الحق وقال: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩.

خامساً: القهر والاستبداد: فمن وقعت عليه المظالم، وصار أمره إلى القهر، وتسلط عليه بالظلم، وصار أمره عسفاً فلا تأمن عليه السكون؛ « والمجتمع الذي يتحكم فيه الاستبداد هو مجتمع خامل، معطل، متراجع في كافة مرافق الحياة ووجوهها، يسوده التخلف، وتسيطر عليه الخرافة، وتندم فيه القيم وتموت فيه الفضيلة.. »^(١). وهو الجو الذي ساد حقبة فرعون حين قال: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُؤُا مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرِكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ الأعراف: ١٢٧ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص: ٤ والنموذج الفرعوني حيي يتكرر، وعلى مستوى الأسرة أيضاً، فهو الحل الأسهل ولا يحتاج لكبير علم أو تنوير؛ فإما القتل ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ غافر: ٢٦ أو السجن ﴿قَالَ لئن اتَّخَذَتِ الْهٰٓءَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ الشعراء: ٢٩ أو التشهير والانتهاج بالباطل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ الإسراء: ١٠١ « بل تعدى الأمر والقهر أن يتحكم بقهره في طريقة تفكيرهم: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩ حتى في اختيار دينه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هٰذَآ لَمَكْرٌ مَّكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ١٢٣، وكانت النتيجة تدمير الإرادة ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ هود: ٩٧ « رضوا بمتابعة فرعون، فاستحقوا ما استحقه، لم يشعروا بخطئهم، وكانوا يحسبون أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا. وإذا ما أوردتهم النار فهو إمامهم، وسيعلمون ما أصابهم من الخسران، حين لا ينفع تضرعهم وبكاؤهم، ولا ينقطع عذابهم وعناؤهم، وتغلب خسارتهم وشقاؤهم، وذلك جزاء من كفرَ بمعبوده، وأسرف في مجاوزة حدوده. »^(٢).

(١) علي عبد الرضا، الاستبداد السياسي.. والديني، مجلة النبأ، العدد ٣٦، السنة الخامسة، ٥ ١٤٢٠ هـ

(٢) القشيري، لطائف الإشارات، ٢، ١٦٥.

المبحث الثالث: منهج القصة القرآنية في تشكيل الشخصية وبنائها

سلكت القصة القرآنية قواعد وأسساً مضطردة، هدفت إلى بناء الشخصية القويمة السليمة وتشكيلها؛ فكل قصة من القصص القرآني كانت تعزز وتوجه لهذه الأسس والمعايير، إما مجتمعةً وإما متفرقة، ويرى الباحث- في حدود بحثه- أنّ القصة القرآنية استطاعت صياغة منظومة منهجية تربوية، شكلت من خلالها شخصيةً قادرة على تحمل هذه الأمانة العظيمة، من حفظ الدين والدعوة إليه والصبر على القيام بواجباته وأعبائه، وقد تمثلت هذه المنهجية بالنقاط التالية: (١)

المطلب الأول: عرض النموذج:

أولاً: طرح النموذج السيء الهابط للحدزر منه والتنفير من مقارنته: وهو أسلوب ناجح في ربط السوء بنماذج سيئة؛ من خلال تبيان خِفِّ وإِسْفَافِ تلك الشخصيات، وأثرها القبيح والشائن في المجتمعات والبشر.

ويأخذ هذا الأمر خطورته الآن في تعظيم وسائل الإعلام من النماذج السيئة، ومحاولة فرضها قدوات للمراهقين، والبالغين، فوضِعُ المعايير الأخلاقية في مكانها الصحيح يكون عبر تقديم النماذج التي قدمت نفعاً للبشرية ورفعةً للإنسان؛ ففرعون قد مثَّل حالة متكررة للحكم الشمولي الهاتك للعرض والعقل والمال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذُلِّكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٤٩ إنه الحكم المستبد حتى بطريقة تفكير واختيارك لعقيدتك ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتْلُمُونَ﴾ الأعراف: ١٢٣ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۗ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ يونس: ٨٣ ويتحكم بحركتك ويمنع عنك اختيار مكان العيش الذي تهدأ نفسك به: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس: ٩٠، وهناك نماذج كثيرة، وتصنيفات أخرى، لعلها تكون في دراسة خاصة تستفيض بها الورقات.

ثانياً: عرض النموذج الحسنة الشريفة الصائبة: وذلك بتقديم القيمة مشخصة بشخص

(١) وقد عُرضت هنا مختصرة جداً، ويوصي الباحث بدراستها بحيالها، لتخرج بحثاً علمياً كاملاً.

وأعيان، وتقدم هذه القدوات بمعاناتها وصبرها، ونتائج حصادها، ثماراً نفعت نفسها، وأضفت على البشرية ثوب الأمن والهناء والرجد؛ بدءاً من ذي القرنين ورحلته المجيدة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿الكهف: ٨٣ - ٨٥﴾ إلى موسى - عليه السلام - صاحب الخلق الرفيع: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴿٢٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿القصص: ٢٣ - ٢٤﴾ وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب - عليهم السلام - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ الانبياء: ٧٣. ولو تدبرنا دور الثبات في الدعوة لاقتدينا بنوح عليه السلام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ العنكبوت: ١٤، مع قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ هود: ٤٠!! إنها الشخصية الثابتة ولو كان في وجهها الإعراض والجحود. وهم النموذج الأمثل في الصبر ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ الانبياء: ٨٣. والعمو والمسامحة ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿يوسف: ٩٢﴾ حتى من ابتلي بالوحدة والحرمان من الذرية كزكريا ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٨﴾ آل عمران: ٣٨ فلنا فيهم العبرة؛ فنجعل من هديهم معبراً نجتاز به تلاطم بحر الفتن والشهوات ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١١﴾ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿يوسف: ١١١﴾، ليشبث الروح والفؤاد ويستقر القلب ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ هود: ١٢٠. فربط الشخصية المسلمة بالقدوة بالحسنة، وتغييره من السيئة له الدور الكبير في تشكيل الشخصية المسلمة، وثباتها وتركيتها. (١)

المطلب الثاني: عامل الزمن: وقد اعتمد القرآن على عامل الزمن في تطوير الشخصية

وثباتها، وخلصها من شوائبها وعواقبها، وهناك العديد من العوامل التي تسهم في تبدلات وتطورات

(١) ينظر بحث د. عصام العبد زهد، القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، الجامعة الإسلامية - كلية أصول الدين، مقدم للقاء الدعوي الأول بعنوان (الشخصية الدعوية المؤثرة). ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

الشخصية؛ منها الاجتماعي، ومنها العامل السيكولوجي، ومنها العامل الصحي والبيولوجي، ومنها الاحباطات التي يتعرض لها، والصراعات النفسية، داخلية كانت أم خارجية، والشعور بالتهديد أو الوقوع فيه، كلها عوامل تؤثر وتسهم في تغيير وتطوير الشخصية، وأحد هذه العوامل عامل الزمن؛ تأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ طه: ٨٢. «وتم في قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ للتراخي النسبي؛ إذ أن هناك فرقاً كبيراً بين من يتوب إلى الله- تعالى - ويقدم العمل الصالح، ويستمر على ذلك إلى أن يلقي الله- تعالى - وبين من لا يداوم على ذلك»^(١). «أي استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح»^(٢). وهناك عامل الزمن النفسي؛ كمن يزرع البذرة وينتظر ثمرها؛ وتطور الشخصية وتشكلها يحتاج إلى الزمن والأناة؛ وانظر لحال شخصية كشخصية يوسف عليه السلام؛ كيف تشكلت شخصيته وتزكّت، بفضل عامل الزمن والضنك في السجن؛ فحين عبّر رؤية الفتيين أوصاهما بوصية لا تليق بمستوى يوسف عليه السلام؛ حين سأل غير الله، ولما يمكث في السجن، فقال للناجي من الفتيين ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢؛ فطلب الشفاعة فوراً، فلبث في السجن بضع سنين، إلى أن رأى الملك رؤياه وعرضها على حاشيته: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ قَالُوا أَضْعَافٌ أَحْلَامٌ^ط وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ * وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ يوسف: ٤٣ - ٤٥ فعبّر يوسف الرؤيا وأسعد الملك، وطلب حضور يوسف: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ^ط فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ^ط إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٥٠، وهنا كانت الشخصية العظيمة؛ قد كملت فوق كمال ونمت وتطهرت فوق نمائها وطهرها؛ ففي الأولى: اذكرني عند ربك وفي الثانية ارجع إلى ربك. الأولى أخذت بعض يوم والثاني بضع سنين؛ فعملت السنين بيوسف حين التقط الرسالة من ربه أول مرة، وعرف أنه ما عوقب إلا بهذا الذنب؛ وهو العجلة على الله. وهي ذات الرسالة التي أرسلها الله ليونس حين التقمه الحوت، وعرف أنه لم يصبر على قومه، وأدرك ذنبه قائلاً: ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنِّي يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِن رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ الأنبياء: ٨٧ والأمثلة كثيرة.

(١) محمد سيد طنطاوي التفسير الوسيط، ١٣٥/٩.

(٢) ابن جزري التسهيل لعلوم التنزيل، ١١/٢.

المطلب الثالث: بناء العقل السنني:

يبني القرآن عقلية أتباعه على أنّ ما يقع في هذا الكون من مجريات، إنما يحدث وفق قانون حادّ صارم، لا يتبدل ولا يتغير؛ وكل مخلوق مقهور بهذا القانون، ولا يملك البشر من هذا القانون سوى تسخيريه ووفق قانون أيضاً؛ وهذه القوانين قد سماها الله بالسنن. والسنن جمع سنة، وهي تعني السيرة، حسنة كانت أو قبيحة^(١). « وفي حديث المجوس: « سنوا بهم سنة أهل الكتاب» أي خذوهم على طريقتهم وأجروهم في قبول الجزية منهم مجراهم»^(٢) فيدور معنى الكلمة على الطريقة المتبعة؛ أي طريقة الله المتبعة في الكون؛ ويقصد الباحث هنا طريقة الله وقوانينه الاجتماعية في الكون- وليس قوانين الله في الخلق والتكوين؛ فهي سنن مادية كونية- وفائدة تسخيرها؛ وهي قوانين محايدة لا تخضع للإنسان لمجرد كونه مسلماً، بل تخضع-باذن الله- لمن عرفها وطوع مسارها.

والعقل السنني يبني حياته ويتشكل وفق الطريقة الإلهية المضطردة في معاملة الله تعالى للبشر؛ فبذلك يحافظ على يقينه وإيمانه؛ لعلمه أنّ ما يجري من حوله خاضع لسنة الله في الكون، وليس وفق أهواء ورغبات وأمنيات؛ بل باضطراد وثبات «سنة الله في الذين خلوا من قبلك^ط ولئن تجد لسنة الله تبديلاً^ط الأحزاب: ٦٢ ويدل على اطرادها أن الله تعالى قصّ علينا قصص الأمم السابقة وما حلّ بها لنتعظ ونعتبر، ولا نفعل فعلهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها. فمن هذه الآيات قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ^ط مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا^ط وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا^ط وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ^ط يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ^ط الحشر: ٢ بعد ما حلّ ببني النضير لسوء أعمالهم»^(٣) « يقول تعالى ذكره: فاتعظوا يا معشر ذوي الأفهام بما أحلّ الله بهؤلاء اليهود... واعلموا أنّ الله وليّ من والاه، وناصر رسوله على كلّ من ناوأه، وحلّ من نقمته به نظير الذي أحلّ ببني النضير. وإنما عنى بالأبصار في هذا الموضع أبصار القلوب، وذلك أن الاعتبار بها

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١٧، ص ٨٩.

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٠٩ والحديث في الموطأ. ٩٦٨ ضعفه الألباني، الإرواء. ٨٨/٥.

(٣) الدكتور عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، ١٠.

يكون دون الإبصار بالعيون»^(١). فحين يعلم المسلم قوانين النصر والهزيمة، قوانين النهوض والانتكاس تستقر نفسه ولا يضطرب يقينه، يعلم أن ما أصابه بسنن، وأن ما يرفع عنه يرفع بسنن؛ وأن هذه السنن لا تحايي المسلم، ولا تجامل الكافر، فيدفعه ذلك للعمل والاجتهاد والجد والمثابرة من جهة، ومحاولة معرفة مداخل هذه السنن وضوابطها؛ حتى يكون بذلك بحق متبعاً للقرآن على الوجه الذي أراده الله، فبعد واقعة أحد جاء درس الإلهي لمن حدثته نفسه عن الهزيمة، قال الله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ آل عمران: ١٣٧ وعن اليهود قال الله موجهاً لسنة من سننه ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ^ط قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى^ط وَلَنْ أَتَّبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ^ل مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة: ١٢٠ وقال عمن جافى شرعه قاطعاً بسننه فيهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ^ط وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء: ١١٥ ولمن تبع هواه: ﴿وَلَنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ^ع وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ^ع وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ^ع وَلَنْ أَتَّبِعَتْ أَهْوَاءَهُمْ^م مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ^ل إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٤٥ والقرآن حافل بهذه القوانين الإلهية في النفس والمجتمع؛ فمن عرفها آمن وثبت في إيمانه، ومن غابت عنه: فالتردد والانتكاس مصيره وعاقبته: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ^ع وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هود: ١٢٠ كسنة الابتلاء ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ العنكبوت: ٢، وسنة التدافع العظيمة ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ^ط وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٢٥١ وسنة التغيير القاطعة ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ^م مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ^ط إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ^ط وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ^ع وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ الرعد: ١١.

(١) الطبري، تفسير الطبري، ٢٣ / ٢٦٦.

المطلب الرابع: الخصائص العلمية في القصة القرآنية

حازت القصة القرآنية على مزايا عظيمة، انعكست هذه المزايا على شخصية المتدبر لها والعالم بمغزاها؛ ومن غفل عن هذه المزايا والتمس غيرها فقد أبعد غايات كثيرة من غايات القصة، وحاد عن مقاصد أراد الله من تلك المقاصد تشكيل الوعي وبعث العمل، وكل ميزة من هذه المزايا تعمل عملها في تكوين الوعي وترقية الفهم وتحديد الفهم؛ وهذا بعكس القصص الإسرائيلي: بشقيه الإنجيل والتوراة؛ والذي فقد كل هذه الخصائص التي سنوجزها تالياً، مما أدى بالشخصية التوراتية والإنجيلية إلى العثيمة وغير المنطقية في التفكير والهدف والعمل. وأهم هذه الخصائص:

أولاً: الربانية: وهي خصيصة الخصائص وجماعها، ومزية المزايا ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الإسراء: ١٠٥ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢ ليس للرسول فيها قليل ولا كثير، وباقي القصص يحمل الصبغة الإنسانية كاملاً، كحال القصص، أو أن فيه مسحةً من الربانية والكثير منه إنساني؛ كحال الإسرائيليات وما دخلها من عبث البشر وأهوائهم، كمن يزعم أن الله- وحاشاه- قد صارع يعقوب^(١) وأن الله قد ندم وأسف، الى آخر هذه الترهات^(٢)؛ فحريٌّ بالعقل السليم، صاحب الشخصية السليمة أن ينأى بنفسه عن هذه المراجع ويتباعد بوجهه عنها، ويحفظ عقله وطريقة تفكيره؛ فإن رفض هذه الترهات سهل، وتكمن المصيبة في الأخريات غير الواضحات، فإن أصابه منها شيء، فلا أقل من أن يصيبه شيء من سوء منهجية هذه الكتب، التي تختلف تماماً عن منهجية القرآن.

ثانياً: الاقتصار على موطن الاعتبار: لا يحدد القرآن بتفاصيل هامشية تبعد الهدف وتشتت المقصد من القصة^(٣)؛ وهذه شائبة نراها في كتب الإسرائيليات؛ من إغراق في التفاصيل الصارفة عن غايات القصة وأغراضها.

(١) المجموعة الكتابية، سفر التكوين ص ٣٥٠.

(٢) انظر كتاب د يوسف نصر الله، حين ترجم كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود، مطبعة المعارف، مصر، ١٨٩٩م. وهي فضائح وليست قواعد.

(٣) ارجع لمالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص ١٩٧، وكيف عقد مقارنات بين قصة يوسف في القرآن وقصته في التوراة.

والاختصار في القصة القرآنية منهج وسنة سنها الله عز وجل في كتابه؛ فلا ينشغل العقل باسم أخ يوسف الأصغر، وأسماء إخوته الكبار، ولا بمكان اجتماعاتهم، وما شابه من هذه الطرق المتشعبة، ولا بأقوال وتفصيل لا نفع فيها؛ فإن ركز القرآن على الحدث فالمقصود العبرة، وإن كان التركيز على الحوار فالمقصود الدعوة وفقهها، وإن ذكر الشخص فالمقصود إبراز القدوة..

ثالثاً: اتساع رقعة الحدث: ليشمل عالم الغيب والشهادة، يمزج بينهما بأسلوب عجيب دقيق، ففي قصة مريم مثلاً، قال الله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ انِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ - وبصورة مفاجئة ومن عالم الشهادة، ينتقل المشهد إلى العالم الغيبي - ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا ۗ - ثم يواصل في عالم الغيب - ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ آل عمران: ٣٦ - ٣٧ عالمان ممتزجان ببعضهما البعض في جمالية لا تبارى ولا تماهى.

ومثلها قصة الجدار في سورة الكهف، وقصة حمل وولادة مريم في سورة مريم، وموسى والعبد الصالح، وزكريا وقصة طلب الولد. كل هذا وغيره من أسلوب القصة الفني، يعمل في تشكيل المنهجية الصحية، التي يبني عليها المسلم شخصيته؛ لا بالمعلومة فقط بل بطريقة عرضها وطريقة أخذها^(١).

الخاتمة والتوصيات

وفي ختام هذه الدراسة فقد تبين للباحث والقارئ مدى أهمية تدبر القرآن الكريم بشكل عام والقصص القرآني بشكل خاص، وأن دراسة القصة القرآنية لم تأخذ حظها كما ينبغي في الدراسات القرآنية من العبر والاتعاظ والادكار والتعقل والإيمان وغيرها من غايات القرآن من قصصه؛ وما كان للقصة في القرآن أن تأخذ هذه المساحة الواسعة إلا لخطورتها، وأهميتها في صياغة الشخصية وتشكيل وبناء معالمها وأبعادها.

ويرى الباحث أنّ دراسة القصة القرآنية دراسة سطحية ظلم للقرآن وظلم للناس؛ فالقصة القرآنية (١) وهناك أساليب كثيرة اختصرها الباحث، ولعلها تبحث بشكل تفصيلي أكبر، وأهمها التناسق بأنواعه في القصة القرآنية، وهو موضوع فيه جلال وجمال ونور وبرهان

كاشفة عن أغوار النفس، ومبينة عن مخبوءاتها وما استتر من معالم انتكاسها وعوامل ارتقائها وتزكيتها وبنائها.

وتبين للباحث مدى الالتصاق الصارم بين القصة القرآنية وطريقة عرضها؛ وأنَّ القرآن حين يعرض القصة يعرضها بأسلوب في متميز بميزات لا حياد عنها ولا تهاون في اعتبارها، وإلاَّ انسقنا لأنسنتها، وحدنا عن مقاصدها وأغراضها، بل انحرف العقل والقلب عن أهدافها.

ويوصي الباحث بالدمج بين الدراسات النفسية والاجتماعية مع القصة القرآنية، والإفادة من التجارب البشرية، التي وضعها الله لنا على طبق من ذهب، لنحقق في النهاية توحيد الله وعبادته؛ فما كانت القصة القرآنية إلا لتحقيق ذلك، قال الله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا طه: ٩٨ - ٩٩، وإلا كان الفصام النكد بين الجهد البشري والهدي الرباني.

ويوصي الباحث بدراسات مستفيضة لكثير من المطالب في هذه الدراسة: مثل:

- (١) أنواع الشخصيات في القرآن
 - (٢) التطور الأمثل في شخصيات الأنبياء - دراسة في ضوء القصص القرآني.
 - (٣) التناسق بأنواعه في القصة القرآنية.
- وفي النهاية أسأل الله أن يجعل هذا العمل حامياً لي من تبعات تقصيري أمام ربي، وأن يغفر لي ذنوبي وذنوب والدي، والحمد لله رب العالمين.



المراجع

- (١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢) الإرهاب والتطرف من منظور علم الاجتماع، عبد الحميد رشوان، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠٠٢.
- (٣) أساليب دراسة الشخصية، فيصل عباس، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٠.
- (٤) الاستبداد السياسي والديني، علي عبد الرضا، مجلة النبأ، العدد ٣٦، السنة الخامسة، ١٤٢٠هـ.
- (٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، ١٣٩٣ هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد بن عطية الأندلسي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ - ١٤٢٢ هـ.
- (٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أبو سعيد البضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- (٨) بناء الرواية، إدوين موير، ترجمة ابراهيم الصيرفي، ١٩٦٥ م، ١٣٨٦هـ.
- (٩) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- (١٠) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.
- (١١) التسهيل لعلوم التنزيل، بن جزي الكلبي ت: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، ط ١ ١٤١٦
- (١٢) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ - ١٤٢٠هـ.
- (١٣) التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١.
- (١٤) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر، بيروت.
- (١٥) التقليد الأعمى للأباء يلغي عقول الأجيال، إبراهيم البليهي، الأحد ١٦ صفر ١٤٣٩هـ.

- (١٦) تهذيب اللغة، محمد الأزهرى، ت: محمد مرعب، إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢٠٠١.
- (١٧) جامع البيان، ابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- (١٨) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- (١٩) خطيئة آدم في التوراة والإنجيل والقرآن، دراسة مقارنة، د. عماد الدين الشنطي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية- المجلد العشرون- العدد الأول.
- (٢٠) دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، على جلبي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤ م.
- (٢١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.
- (٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- (٢٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة.
- (٢٤) شادية التل، الشخصية: من منظور نفسي إسلامي، المنهل، ١ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ.
- (٢٥) الشخصية وعلم النفس الاجتماعي عثمان فراح، القاهرة: دار النهضة العربية.
- (٢٦) الشخصية: توجهاتها وحاجاتها في نظرية إيريش فروم، توفيق، إميل، مكتبة الأنجلو المصرية.
- (٢٧) شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية د. مُساعدُ الطَّيَّار، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٨هـ.
- (٢٨) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٤٢٠هـ.
- (٢٩) علم الاجتماع الأدبي، حسين الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠.
- (٣٠) عناصر القصة في الشعر العباسي، منتصر الغضنفرى، دار مجدلاوي، الأردن، ط ١، ٢٠١١ م.
- (٣١) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- (٣٢) فن كتابة القصة، حسن القباني، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط ٣، ١٩٩٧ م.
- (٣٣) فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يونيو ٢٠٠٢.



- (٣٤) القدوة الصالحة وأثرها على الفرد والمجتمع، د. عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية، مقدم للقاء الدعوي الأول بعنوان (الشخصية الدعوية المؤثرة). ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (٣٥) القصص القرآني في منظومه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، بيروت، لبنان. (د. ت).
- (٣٦) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩.
- (٣٧) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د يوسف نصر الله، مطبعة المعارف، مصر، ١٨٩٩م.
- (٣٨) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ١.
- (٣٩) لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣.
- (٤٠) المجموعة الكتابية، سفر التكوين، العهد القديم.
- (٤١) مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، ط ١، ١٤٢١.
- (٤٢) معالم التنزيل، أبو محمد البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
- (٤٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- (٤٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ٣٩٩هـ.
- (٤٥) الموسوعة الفلسفية، روزنتال ويودين وآخرون، حرف الشين، شخص، ترجمة سمير كرم، مراجعة د صادق جلال العظم، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت. ط ٢، ١٩٨٠.
- (٤٦) موقع الإسلام <http://www.islam-al.com>
- (٤٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ
- (٤٨) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد، فصلت للدراسات، حلب، ط ١، ١٤٢٢هـ.

^^

